

(الفقه الاكبر) فى التوحيد للامام الاعظم

أبي حنيفة النعمان رضى الله عنه

ويليه

(الفقه الاكبر) فى التوحيد للامام أبي عبد الله محمد

ابن ادريس الشافعى رضى الله عنه

(الطبعة الثانية)

على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى الكتبي

وأخيه وحسين شرف الكتبي

بالمطبعة العامرة الشرفية التى مركزها بشارع

الخرنفش من مصر المحميه

سنة ١٣٢٤ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الفقه الاكبر للامام الاعظم رضي الله عنه

أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار حق كله * والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * لا يشبه شيئا من الاشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل * لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة لم يزل عالما بعلمه والعلم صفة في الازل وقادرا بقدرته والقدرة صفة في الازل ومتكلما بكلامه والكلام صفة في الازل وخالقا بتخليقه والتخليق صفة في الازل وفاعلا بفعله والفعل صفة في الازل والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الازل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق وصفاته في الازل غير محدثة ولا مخلوقة فمن قال انها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى * والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب

وفي القلوب محفوظ وعلى الالسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة والقرآن غير مخلوق * وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعن فرعون وابليس فان ذلك كله كلام الله تعالى اخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم * وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام وقد كان الله تعالى خالقا في الازل ولم يخلق الخلق (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) * فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الازل وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويسمع لا كسمعنا ويتكلم لا ككلامنا * ونحن نتكلم بالآلات والحروف والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق * وهو شيء لا كالاشياء ومعنى الشيء اثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له * وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته أو نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف * خلق الله

تعالى الاشياء لا من شئ وكان الله تعالى عالما في الازل بالاشياء قبل كونها وهو الذى قدر الاشياء وقضاها ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شئ الا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره * وكتبه في اللوح المحفوظ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم * والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الازل بلا كيف * يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف يكون اذا أوجده ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا ويعلم انه كيف يكون فناؤه ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائما واذا قعد علمه قاعدا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث في المخلوقين * خلق الله تعالى الخلق سليما من الكفر والايمان ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم فكفر من كفر بفعله وانكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى اياه وآمن من آمن بفعله واقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى اياه ونصرته له * أخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالايمان ونهاهم عن الكفر فاقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم * ولم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا والايمان والكفر فعل العباد ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته * وجميع أفعال العباد من

الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره والمعاصى كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لابمحبته ولا برضاه ولا بأمره * والانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده ورسوله ونبيه وصفيه ونقيه لم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط * وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم على بن أبى طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين عابدين ثابتين على الحق ومع الحق نتولاهم جميعا * ولا نذكر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بخير * ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وان كانت كبيرة اذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الايمان ونسميه مؤمنا حقيقة ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقا غير كافر * والمسح على الخفين سنة * والتراويح فى ليالى شهر رمضان سنة * والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة * ولا نقول ان المؤمن لا تضره الذنوب ولا نقول انه لا يدخل النار ولا نقول انه يخلد فيها وان كان فاسقا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا ولا نقول أن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة

والمعاني المبطلة ولم يبطلها بالكفر والردة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فان الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها * وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمنا فانه في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بالنار وان شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلا * والرياء اذا وقع في عمل من الاعمال فانه يبطل أجره وكذلك العجب * والآيات ثابتة للانبياء والكرامات للاولياء حق وأما التي تكون لاعدائه مثل ابليس وفرعون والدجال مما روى في الاخبار انه كان ويكون لهم لا نسميها آيات ولا كرامات ولكن نسميها قضاء حاجات لهم وذلك لان الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغيانا وكفرا وذلك كله جائز وممكن * وكان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق * والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة * والايمان هو الاقرار والتصديق * وايمان أهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق * والمؤمنون مستوون في الايمان والتوحيد متفاضلون في الاعمال * والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تعالى فمن طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام ولكن لا يكون ايمان بلا اسلام ولا يوجد اسلام بلا ايمان وهما كالظهر مع البطن * والدين اسم وقع على الايمان والاسلام والشرائع كلها * نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه في

كتابه بجميع صفاته وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له ولكنه يعبده بأمره كما أمر بكتابه وسنة رسوله * ويستوى المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضا والخوف والرجاء والايمان في ذلك ويتفاوتون فيما دون الايمان في ذلك كله * والله تعالى متفضل على عباده عادل قد يعطى من الثواب أضعاف مايستوجبه العبد تفضلا منه وقد يعاقب على الذنب عدلا منه وقد يعفو فضلا منه * وشفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام حق وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولاهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت * ووزن الاعمال بالميزان يوم القيامة حق وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق والقصاص فيمابين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق وان لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز * والجنة والنار مخلوقتان اليوم لاتفنيان أبدا ولا تموت الحور العين أبدا ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدا * والله تعالى يهدى من يشاء فضلا منه ويضل من يشاء عدلا منه واضلاله خذلانه وتفسير الخذلان أن لايوفق العبد الى مايرضاه منه وهو عدل منه وكذا عقوبة المخذول على المعصية * ولا يجوز أن نقول أن الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا ولكن نقول العبد يدع الايمان فحينئذ يسلبه منه الشيطان * وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر واعادة الروح الى جسد العبد فى قبره حق وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين * وكل

شئ ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به سوى اليد بالفارسية ويجوز أن يقال بروى خداى عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية * وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ولكن على معنى الكرامة والهوان والمطيع قريب منه بلا كيف والعاصي بعيد عنه بلا كيف والقرب والبعد والاقبال يقع على المناجي * وكذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه بلا كيفية * والقرآن منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المصاحف مكتوب وآيات القرآن فى معنى الكلام كلها مستوية فى الفضيلة والعظمة الا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسى لان المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر وفضيلة المذكور ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار وكذلك الاسماء والصفات كلها مستوية فى العظمة والفضل لاتفاوت بينهما * وقاسم وطاهر وابراهيم كانوا بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعا بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن * واذا أشكل على الانسان شئ من دقائق علم التوحيد فانه ينبغى له أن يعتقد فى الحال ماهو الصواب عند الله تعالى الى أن يجد عالما فيسأله ولا يسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالوقف فيه ويكفر ان وقف * وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضال وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى

عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الاخبار الصحيحة حق كائن والله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

تم الفقه الاكبر للامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه

(ويليه الفقه الاكبر أيضا للامام

أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي

رضى الله عنه وأرضاه)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين وصلواته علي سيدنا محمد وآله وسلم (قال) السيد الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه (هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسائل فى أصول الدين) التى لابد للمكلف من الوقوف عليها وسميناه الفقه الاكبر وأعرضنا عن بسطه قصدا للتقريب على المبتدى وبالله التوفيق

اعلموا أسعدكم الله ان كل مكلف مأمور بمعرفة الله تعالى ومعنى المعرفة أن يعلم المعلوم على ماهو عليه بحيث لايخفى عليه شئ من صفات المعلوم وبالظن والتقليد لايحصل العلم والمعرفة لان معنى الظن تجويز الامرين ومعنى التقليد قبول قول من لايدرى ماقال من أين قاله وذلك لايكون علما دليله قوله تعالى (فاعلم أنه لا إله الا الله) فامر بالمعرفة لابالظن والتقليد

﴿ فصل ﴾ واعلم أن علوم الخلق على قسمين ضرورى ومكتسب فمعني الضروري كل علم يتعلق وجوده بقدرة غير العالم وذلك نحو العلم الواقع عن الحواس الخمس من الضرورات من غير اختيار ومعنى المكتسب كل علم يتعلق وجوده بقدرة العالم وذلك نحو العلم الحاصل عن النظر والرؤية

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن التكليف مايستحق بمخالفته العقاب فيدخل فيه جميع أقسام أفعال المكلفين وذلك خمسة واجب ومحظور ومسنون ومكروه ومباح فمعنى الواجب والفرض واحد وهو مايستحق

العقاب على تركه ومعنى المحظور مايستحق العقاب على فعله ومعنى المسنون والمستحب والنافلة والتطوع فى الحقيقة واحد وهو مايثاب على فعله ولا يعاقب على تركه ومعنى المكروه مايثاب على تركه ولا يعاقب على فعله ومعنى المباح مااستوى فعله وتركه من المكلف فيلزم المكلف أن يعتقد في كل واحد من هذه الاقسام على الوجه الذى كلف فى الواجب الوجوب وفي المحظور التحريم على حسب مااقتضته الشريعة وهكذا الى آخر الاقسام فلو اعتقد خلاف ذلك استحق العقاب

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن معرفة الله تعالى انما تجب على عبده اذا وجد ثلاث شرائط * أحدها العقل والعلم والقدرة الذى يصح معه الخطاب ويحكم بكونه عاقلا اذا وجد مع العلم قدر مايميز به بين الممكن والمستحيل ويتأتى منه الاستشهاد بالشاهد على الغائب * والثانى البلوغ وهو تارة يكون بالسن وهو اذا بلغ خمس عشرة سنة أو بالاحتلام من الغلام والجارية مثل ذلك أو حاضت * والثالث السمع وهو أن يرد الامر من الله تعالى بتكليف معرفته واذا عدم شرط من هذه الشرائط لايجب علينا شئ لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) والخبر المشهور عنه صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه

(فصل) واعلموا أن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال الى معرفة الله تعالى ومعنى النظر هو فكر القلب والتأمل

في حال المنظور فيه طلبا لمعرفته وبه يتوصل الى معرفة ماغاب عن الحس والضرورة وهو واجب فى أصول الدين لقوله عز وجل (انظروا الى ثمره اذا أثمر) وقوله (فاعتبروا ياأولى الابصار) (وقل انظروا ماذا فى السموات والارض) فاقلنا ان أول الواجبات النظر لان أكثر العبادات منوطة بالنيات فالنية هى القصد بالعبادات الى معبود مخصوص والقصد على هذا الوجه لايمكن فيه الا بعد معرفة المعبود ولا يتوصل الى معرفته الا بالنظر والاستدلال فلهذا قلنا ان ذلك أول الواجبات * واعلموا ان العالم اسم لجميع ماسوى الله من عرشه وكرسيه وسمائه وأرضه وحيوانه وجماده ناطقا ساكنا محدث كائن بعد ان لم يكن *والدليل عليه أنه قد ثبت ان العالم يتغير من صفة الى صفة ومن حال الى حال لاينفك عن الالوان المختلفة والاكوان المتباينة والحوادث المتعاقبة ومالا ينفك عن الحوادث ولم يسبقها فهو محدث مثلها لانه لا يعقل وجود الاجزاء الكثيرة الا مجتمعة أو متفرقة أو متقاربة أو متباعدة والاجتماع والافتراق حوادث وفي معنى قول هذه الدلالة قوله عز وجل فى قصة ابراهيم عليه السلام (فلما جن عليه الليل رأي كوكبا قال هذا ربى) الآية حين نظر الى الكوكب والشمس والقمر متغيرات في صفاتها فاخرجها عن ربوبيته بعلة الافول والزوال والتنقل من حال الى حال ثم سمى استدلاله حجة وأضافه الى نفسه فقال (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) ثم بين ان من هداه الى حجته ارتفعت درجته فقال (نرفع درجات من نشاء) ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم

(واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وذلك يوجب علينا أن نستدل كما استدل.
واعلموا أن المحدث لابد له من أن يحدثه خالق * والدليل عليه هو أن الفعل لابد له من فاعل كما أن الكتابة لابد لها من كاتب والبناء من بان ويستحيل وجود الكتابة الا من كاتب وذلك معلوم في الشاهد ضرورة وهكذا حكم ماشاكله من سائر الصناعات وكذلك المحدث في معنى ذلك في اقتضائه محدثا فاعلا خالقا قال الله تعالى منبها على ذلك (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون) ومعناه أم خلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم فبين أن الخلق لابد له من خالق *واعلموا أن محدث العالم هو الله جل جلاله وعم نواله* والدليل عليه أنه تقرر باوائل العقول أن الانسان في حال كمال خلقته وتمام عقله وقدرته لا يقدر أن يخلق لنفسه سمعا وبصرا أو يرد جارحة سقطت منه لا عند الانفراد ولا بمعاونة الامثال والانداد فلأن يتعذر عليه خلق نفسه في حال كونه ماء مهينا ونطفة منتنا ضعيفا أولى قال الله تعالى (أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) فنبه الله بذلك على أن الولد لايخلقه والده لانه يتمنى ولا يكون ويكره فيكون فبين أن تصوير الجنين في الرحم من المني مالم يكن على ارادتنا لم يكن وكان خالقه ومصوره هو الله والدليل عليه قول الله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور) الآية وأيضا قول الله تعالى (ذلكم الله ربكم خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل).

(فصل) واعلموا ان خالق العالم قديم أزلي ومعناه لاأول لوجوده والدليل عليه أنه لو كان الخالق محدثا لافتقر الى محدث آخر

أحدثه وأوجده ثم محدثه لو كان محدثا لاقتضى محدثا آخر ويتعلق كل خالق لو كان محدثا بخالق قبله فيؤدى ذلك الى مالايتناهى ويوجب معه استحالة وجود الخالق والمخلوق قال الله عز وجل (هو الاول والآخر) فأخبر عز وجل عن وجوده فيما لم يزل ولا يزال

﴿ فصل ﴾ واعلموا ان خالق العالم واحد لاشريك له فرد لاثاني له * ومعنى الوحدانية في صفات الله تعالى أن يستحيل عليه التجزئة والتبعيض وهما وتقديرا وانه منفرد بصفاته وذاته غير مشابه للخلق وأنه منفرد بانتساب الحوادث اليه من حيث احداثها واختراعها والدليل عليه أنه قد ثبت وتقرر ان الفعل والصنع يقتضي فاعلا صانعا لامحالة ويستغنى وجود الفعل لصانع واحد فاذا الفاعل الواحد لابد منه وما زاد عليه فتعارض فيه الاعداد وتتساقط اذ لارجحان لبعض الاعداد على بعض قال الله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فبين الله تعالي ان الآلهة لو كان أكثر من اله واحد لما كانت السموات والارض اذ الكثرة توجب صحة وقوع الاختلاف والتمانع من المراد قال جل ذكره (انما الحكم اله واحد)

﴿ فصل ﴾ واعلموا ان خالق العالم لايشبه شيئا من المخلوقات والدليل عليه أن التشبيه يوجب الاستغراق في جميع الصفات والاحكام لان حقيقة المتشبهين هما الغيران بالذات يجوز على كل واحد منهما جميع ماجاز على صاحبه فيقوم مقامه ويسد مسده فلو كان الباري مشبها لخلقه لكان يجوز عليه صفات خلقه وذلك محال لانه يقتضي جواز كونه محدثا

ولانه يتناقض فثبت ان البارى لايشبهه خلقه ولا يشبه هو خلقه قال الله تعالى (ليس كمثله شئ) ومعناه ليس كهو شئ

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن الحد والنهاية لايجوز على الله تعالى ومعنى الحد هو طرف الشئ ونهايته والدليل عليه هو أن من لايكون محدود البداية لايكون محدود الذات ومعناه من لايكون لوجوده ابتداء لايكون لذاته انتهاء ولان ما كان محـدودا متناهيا صح أن يتوهم فيـه الزيادة والنقصان وأن يوجد مثله فكان لاختصاصه نوع من النهاية والتحديد الذي يصح أن يكون أكبر منـه أوأصغر يقتضى أن يكون له مخصص يخصصه على حد ونهاية وخلقه على قدر وذلك دلالة الحدوث تعـالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ فصـل ﴾ واعلموا أن الله تعـالى ليس بجوهر ولا بجسم ولا عرض والدليل عليه هو أن الجوهر أصل الشئ وهو مايتركب منـه الجسم ومنـه يقال ثوب جوهرى اذا كان أصليا والبـارى محال أن يتركب منه شئ حتى يكون جوهرا لان الجواهر لاتنفك عن الحوادث والحركة والسكون والالوان والطعوم والروائح وغـير ذلك والقديم سبحانه يستحيل عليه الحوادث فبان أنه ليس بجوهر * ومحال أيضا أن يكون جسما لان الجسم هو المجتمع المؤلف ومنه قول أهل اللغة هذا جسم وذلك أجسم منـه فيصفونه بالمبالغة اذا كثر تأليفـه واجتماعه ويجرى هـذا مجرى قولهم عالم وعليم وأعلم منـه اذا زاد تعلق علمه بالمعلومات ومعلوم أن العالم في الاصل انما كان عالما لعلم فكذلك القول

في الجسم *وتحقيق ذلك هو أن الوصف اذااستحقت المبالغة منه بزيادة معنى استحق الاصـل الوصف لاجـل ذلك المعنى كالطويل وأطول والعالم وأعلم ونحو ذلك وقد نبهنا الله تعالي على هذا المعنى بقوله (وزاده بسطة في العلم والجسم) أي في عظم الجثة والشخص والبارى تعالى ليس بذي أجزاء وابعاض بل هو واحد كما قال الله تعالى (قل هو الله أحد) والمجتمع المؤلف لايكون واحدا ومحال أن يكون عرضـا لان العرض مايستحيل عليه البقاء أو يقل بقاؤه ولهذا المعني قال الله تعالى (تريدون عرض الدنيا) لقلة بقائها والبـارى سبحانه واجب البقاء دائم الوجود مستحيل العدم قال الله عز وجل (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام)

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن الصور والتركيب تستحيل على الله تعالى للمعنى الذى ذكرنا فى الجسم ولان ذا الصورة لايختص بصورة دون صورة الا بمخصص هو فاعله وخالقه ومن يكون له صورة أيضا مخلوق لااشكال فيه ولان الصورة لاتشبه المصور والله تعـالى خالق الصور وصورته ليس كمثله شئ وقال الله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور)

﴿ فصـل ﴾ واعلموا أن الله تعالى لايجوز عليه اللون والكون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة ونحو ذلك لان هـذه صـفات الحوادث وعلامات الصنع والموصوف بواحـد منها مع جواز غيره لايختص الا به بمخصص هو جاعله وخالقـه وذلك سمات الحدوث وهكذا الحكم في استحالة اللذة والالم وسائر الصـفات التى تختص

بالمخلوق وقال عز وجل (هل تعلم له سميا)

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن البارى لامكان له* والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان نخلق المكان وهو على صفته الازلية كما كان قبل خلقه المكان لايجوز عليه التغيير في ذاته والتبديل فى صفاته ولان ماله مكان وله تحت يكون متناهى الذات محدودا والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك ولهذا المعنى استحال عليه الزوجة والولد لان ذلك لايتم الا بالمباشرة والاتصال والانفصال فكذلك الزوجة والولد في صفته تعالى محال (فان قيل) قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) يقال له ان هذه الآية من المتشابهات يحار في الجواب عنها وعن أمثالها لمن لايريد التبحر فى العلم أى يمر بها كما جاءت ولا يبحث عنها ولا يتكلم فيها لانه لايأمن الوقوع فى الشبهة والورطة اذا لم يكن راسخا في العلم ويجب أن يعتقد في صفة البارى ماذكرناه وانه لايحويه مكان ولا يجرى عليه زمان منزه عن الحدود والنهايات مستغن عن المكان والجهات (ليس كمثله شيء) ويتخلص عن المهالك ولهذا زجر مالك السائل حين سأله عن هذه الآية فقال الاستواء مذكور وكيفيته مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال فان عدت الى مسألتك أمرت بضرب رقبتك أعاذنا الله واياكم من التشبيه

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن البارى سبحانه حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم باق* والدليل عليه ان أفعاله المحكمة المتقنة المرتبة على غاية الاتساق والانتظام دلالة على كونه مريدا واستحالة الآفات المانعة من

السمع والبصر والكلام عليه نحو الصمم والعمى والخرس والسكوت دلالة على كونه سميعاً بصيراً كاملاً وكونه قديماً دلالة على أنه باق دائم الوجود قال الله تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت) * وقال (ان الله على كل شيء قدير) * وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) * وقال (فعال لما يريد)

(فصل) واعلموا أن البارى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام باق ببقاء وهذه صفات أزلية موجودة بذاته يعني ليست بعرض حادثة ولا محدثة لم يزل ولا يزال بهذه الصفات ولا يشبه شيء منها شيئا من صفات المخلوقات كما لا تشبه ذاته ذات المخلوقين * والدليل عليه هو ان كل صفة تصح أن تكون الذات بها موصوفا مستحيل وجود تلك الصفة منفردة مع عدم الذات وكذلك يستحيل وجود الموصوف بحكم تلك الصفة مع عدم الصفة ﴿بيانه﴾ أنه محال وجود القدرة والعلم وغيرهما من الصفات مع عدم القادر والعالم كذلك محال وجود العالم القادر مع عدم القدرة والعلم لان تعلق كل واحد منها كتعلق صاحبه وقال الله تعالى (أنزله بعلمه) وقال (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وقال (عنده علم الساعة) وقال (ذو القوة المتين) وقال (والسماء بنيناها بأيد) أي بقوة فأثبت الله تعالى لنفسه العلم والقدرة فيجب علينا أن نثبتها له كما أثبتها لنفسه وما نفاه عن نفسه يجب علينا نفيه قال الله تعالى (لم يلد ولم يولد) لان نفي ما أثبته لنفسه كاثبات ما نفاه عن نفسه وذلك محال والا فما الفصل ولا يجد المخالف الى ذلك سبيلاً

﴿ فصل ﴾ فان قيل للبارى تعالى ثمان صفات كلها قديم فقد أثبتم مع الله تعالى ثمانى قدماء فيقتضى اثبات الاشتراك في القدم * يقال له لا يقتضي ذلك لان الاشتراك في القدم لا يوجب التماثل فى جميع الصفات كما بينا من قبل ولان الاشتراك فى القدم لو كان يوجب التماثل لوجب أن يكون الاشتراك فى الحدث يوجب التماثل فيقتضي أن يكون الجواهر والاجسام مثل الاعراض والصفات فلما لم يصح ماقلناه لم يصح ماقالوه وما أثبتنا من الصفات للبارى فهن صفات موجودة بذاته تعالى فلا يقتضى أن يكون مثله كصفاتنا الموجودة بذواتنا لا يقتضى أن تكون أمثالا لذواتنا فافهمه

﴿ فصل ﴾ واعلموا ان معنى حياته تعالى انها صفة واحدة أزلية بان بها عن الاصوات ليست بروح ولا يفتقر وجودها الى غيرها من غذاء أو نفس ولا تشبه حياة المخلوقين ومعنى علمه انها صفة أزلية بان بها عن المعاني التى تضاد العلم يعلم جميع المعلومات جملة وتفصيلا ما كان وما يكون ومالا يكون لو كان كيف يكون * ومعنى القدرة انها صفة واحدة أزلية بان بها عن العجز تتعلق باحداث جميع المحدثات بحيث لا يوجد محدث عن عدم الا بها * ومعنى الارادة انها صفة واحدة أزلية بان بها عن الآفات المانعة من الارادة كالشهوة والغفلة وغير ذلك مما يستحيل اجتماع الارادة معه تتعلق بجميع المرادات وتخصصها بالاوقات * ومعنى السمع والبصر صفتان أزليتان بان بهما عن الاصم والاعمى والموصوف بالآفات المانعة عن ادراك المسموع والمرئي فسمعه وبصره

يتعلقان بجميع المسموعات والمرئيات * ومعنى الكلام صفة واحدة أزلية
بان بها عن الاخرس و لساكت وعن الآفات المانعة عن الكلام * ومعنى
البقاء صفة واحدة أزلية بان بها عما ليس بباق لان الازلي القديم لا يعاقبه
فناء ولا عدم والدليل على توحيد صفاته انه لو كان من كل نوع أكثر
من واحد لاقتضى تخصصا وذلك دلالة الحدوث ولم يسلم قائله من
المعارضة لان بعض الاعداد ليس بأولى من بعض

(فصل) واعلموا أن كلام البارى سبحانه قديم أزلي موجود
بذاته ليس بمخلوق ولا محدث ومن قال انه مخلوق فهو كافر لا محالة
وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا متلو في
محاريبنا مسموع باسماعنا ليس بكتابة ولا حفظ ولا قراءة ولا تلاوة
ولا سمع لان ذلك محدث عن عدم وكلام الله قديم كما أن البارى سبحانه
مكتوب في كتبنا معلوم في قلوبنا مذكور بألسنتنا وليس ذات البارى
سبحانه كتابة ولا ذكرا * والدليل على ان كلامه قديم قوله تعالى (انما
أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فاثبت ان المخلوق مقول
له كن فلو كان مخلوقا لكان مقولا له كن وكان يؤدى الى أن يتصل
كل قول بقول آخر الي ما لا يتناهى وذلك يوجب بطلان القول فلما
كان ذلك باطلا وجب كون قوله تعالى أزليا غير مخلوق ولا محدث
ولان الحى الذى لا يصح عليه الكلام لا يصح أن يعرى عن الآفات
المانعة عن الكلام كواحد منا والبارى سبحانه حي يصح أن يكون متكلما
والآفات المانعة من الكلام عليه محال فثبت أنه لم يزل متكلما وكلامه

قديم.

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن الله سبحانه وتعالى يري نفسه فيما لم يزل ولا يزال من غير اتصال شعاع ولا مقابلة ويجوز للخلق أن يروه عقلا لانه موجود وكل موجود يصح أن يراه بل واجب أن يراه المؤمنون في القيامة من طريق الخبر بابصار أعينهم فى رؤيتهم دون الكفار فان الجواز يعلم بالعقل والوجوب لا يعلم الا بالخبر ومن يراه من خلقه من المؤمنين فانما يراه خلاف المرئيات والمعلومات والدليل عليه قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة) والنظر المقرون بذكر الوجه بعد حرف الجر لايجوز أن يراد به في اللغة الا النظر الذى هو الرؤية بالبصر وقوله تعالي مخبرا عن موسى (رب أرني أنظر اليك) فلو كان رؤيته محالا لما سأل ذلك صفوته وكليمه لانه يؤدي ذلك الى جهله بصفات ربه وهذا مما لايجوز على الانبياء بالاتفاق ولان ما استحال تعلق الرؤية به موجودا استحال تعلق العلم به موجودا كالمعدوم لما استحال أن يرى موجودا استحال أن يعلم موجودا والبارى تعالى يعلم موجودا كسائر الموجودات ولان البارى تعالى لما صح أن يري بالاتفاق ونحن لانكون في مقابلته صح أن نراه ولا يكون في مقابلتنا

(فصل) واعلموا ان ماشاء الله كونه لامحالة يكون وماشاء الله أن لايكون فمحال كونه ولا يجوز أن يجرى الا مايريد * والدليل عليه اطباق المسلمين على القول بان ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقوله (وماتشاؤن الا أن يشاء الله) وقوله (فلوشاء لهداكم أجمعين) * يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا)الآية فثبت أن الهداية
والاضلال كلاهما عن الله تعالى وفى هذا القدر من الآيات غنية ولان
قدرة البارى تعالى قديمة شاملة لجميع المقدورات لايجوز خروج مقدور
عن قدرته فلو كان يجرى فى سلطانه وذلك يوجب تناهى مقدوراته
ودخول النقص في قدرته وذلك محال فى صفته فبان استحالة وجود
مالم يرد كونه ولانه لو أراد من فرعون الايمان وعلم بخلافه لاراد تجهيل
نفسه وسقوطه عن رتبة الالهية وذلك محال فى صفة الله تعالى

(فصل) فان قيل أفتقولون ان الله عز وجل مريد للكفر
والقتل وسائر المعاصى نقول لانقول على هذا الاطلاق لانه يوهم
الخطأ لكنا نقول ان جميع ميجرى في سلطانه فبارادته ومشيئته فيدخل
ذلك فى جميع المحدثات وهذا كما نقول ياخالق الخلق ولا نقول يجوز
أن نقول ياخالق القردة والخنازير والعقارب والحيات وان كانت كلها
مخلوقة لله تعالى كذلك ههنا واما ان نقول ان الله تعالى أراد مايكون
من الكفر والمعاصى ناهيا عنهما معاقبا عليهما ويجب الاحتراز عن ايهام
الخطا كما يجب الاحتراز عن نفس الخطا

(فصل) واعلموا أن الله خالق أكساب العبيد ومحدثها من
العدم الى الوجود وجعلها كسبا لهم بأن خلق لهم قدرة معها والعبد
مكتسب غير خالق والبارى تعالى خالق غير مكتسب *ومعنى الخالق
هو الاحداث من العدم الى الوجود *ومعنى الكسب ماتعلقت به قدرة
حادثة* والدليل عليه قوله تعالى (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) الآية

فبين ان كل مخلوق فالله خالقه ولا خالق غيره . وقال عز وجل (أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون) فأخبر انه خالق أعمالهم كما هو خالق أنفسهم ولان من شرط الخالق أن يكون عالما بما خلق فلو كان العبد خالقا لكسبه وفعله لكان يعلم عدد حركاته وسكناته وسائر أوصاف كسبه الراجعة الي ذاته واذا رجع الى نفسه ومعلوم بالضرورة انه لا يعلم ذلك فثبت أن الخالق هو الله تعالى وفي هذا المعني قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به) الآيتان فبان ان الخالق لابد أن يكون عالما بما خلق لانه لو صح وجود الخالق ممن لا يعلم ماخلقه لصح وجود الافعال ممن ليس بعالم أصلا فيؤدى الي بطلان الالهية وذلك محال فاذا ثبت ذلك بان ان أكساب العبد كلها مخلوقة لله يدلك عليه اطلاق السلف أن لاخالق الا الله كاطلاقهم أن لااله الا الله

(فصل) واعلموا أن العبد مستطيع لاكسابه مختار لها غير مجبر عليها * والدليل عليه هو ان أحدا اذا رجع الى نفسه يفرق بين حركة الارتعاش وبين حركة الاختيارية ومن منع ذلك فقد دفع الضرورات ولا فائدة في مكالمته ولولا ان القدرة الحادثة اقترنت بالحركة الاختيارية ولما كان بين الحركتين فرق فبان بذلك أن أحد الحركتين كسب له دون الاخرى وثبت ان العبد مكتسب غير مجبر ولا خالق فبطل قول القدرية والجبرية وصح لاهل السنة مذهب بين المذهبين

(فصل) واعلموا أن قدرة العبد تسمى استطاعة وهي مع

الكسب لا قبله ولا بعده* والدليل عليه قوله تعالى (إنك لن تستطيع معى صبرا) لان الاستطاعة اذا وجدت لايخلو اما أن يصح وجود الفعل معها أو يستحيل فان صح حدوث الفعل مع حدوثها فهو قولنا وان استحال حدوث الفعل معها فلا تخلو الاستحالة اما أن تكون بعين الاستطاعة أو بعين الفعل أو الوقت فبطل أن يكون استحالته بعين الاستطاعة لانه لو كان كذلك لم يجز وجود الفعل لها كالموت والعجز وبطل أن تكون لعين الفعل لانه لو كان لعين الفعل لم يجز حصول جنسه بحال كما في الاول لانه لايجوز وجود الفعل وبطل أن يكون استحالة للوقت لان الوقت من جنس الوقت الاول فلو كان محالا في الوقت الاول لكان محالا أيضا في الوقت الثاني ولانه لو تقدمت القدرة على ذلك الوقت لصح وجود الفعل فيه فاذا بطلت هذه الاقسام صح وثبت ان الاستطاعة مع الفعل لاقبله ولا بعده ولان الاستطاعة عرض فيستحيل عليه البقاء الى ثاني حال وجودها فثبت أنها مع الفعل

(فصل) واعلموا أن الاستطاعة الواحدة لاتصلح للضدين فاستطاعة الايمان لاتصلح للكفر واستطاعة الكفر لاتصلح للايمان فاستطاعة الايمان والطاعة توفيق من الله وتأييد ونصر واستطاعة الكفر خذلان وابعاد واستطاعة العصيان التى هي دون الكفر حرمان *والدليل عليه قوله تعالى (فلا يستطيعون سبيلا) أى لايستطيعون سبيل الهدى فدل أن استطاعة الهدى مع الهدى ولانه قد ثبت وتقرر ان الاستطاعة مع الفعل فثبت انها لاتصلح للضدين لاستحالة اجتماع

المتضادين معا

﴿ فصل ﴾ واعلموا ان البارى سبحانه قادر على اصلاح أصلح مما فعل وعلى لطف ألطف مما فعل بلا نهاية وقادر على أن يفعل بالكفار بالالطاف ما لو فعله بهم لآمنوا عند ذلك وبالمؤمنين مالو فعل بهم اجتنبوا المعاصى * والدليل عليه انمايصح من الفعل كونه وحدوثه أوجب أن يكون البارى تعالى قادرا عليه لوجوب كون مقدوراته غير متناهية ووجود الايمان من الكفار يجوز وعصمة المؤمن عن الذنوب صحيح وجوده فيجب أن يكون البارى سبحانه موصوفا بالقدرة على ذلك ولا نهاية للاصلح في مقدوراته وقد أنكرت المعتزلة ذلك

(فصـل) واعلموا انه لايجب على البارى فعل شئ بحال ان شاء خلق وان شاء لم يخلق خلق العبد وأنعم عليهم وذلك بفضـل منه وان ابتلاهم بأنواع البلايا فذلك عدل منه اذ هو مالك الاعيان يفعل في ملكه مايشاء لااعتراض عليه فيما دبر ولا تحكم عليه فيما قدر ان شاء أنعم وان شاء أسقم يفعل مايشاء ويحكم مايريد* والدليل عليـه ان حقيقة الواجب ماإذا ترك استحق العقاب ومحال ذلك فى صفة الله تعالى ولان الواجب يقتضي موجبا وأمر الآمر الموجب من فوق المأمور الموجب عليـه ومحـال أن يكون فوق البارى سبحانه الخالق فيوجب عليه بخلاف قول المعتزلة

﴿ فصـل ﴾ واعلموا ان البـارى سبحانه خلق الخلق لالدفع مضرة ولا لجلب منفعة ولا لسبب وعلة بل علم مافي الازل أنه تعـالى

بخلقهم وأراد خلقهم فخلقهم كما علم فأي حكمة أبلغ من ايجاد المعلوم والمراد * والدليل عليه انه تعالى لو خلق الخلق لعلة لكانت العلة لاتخلو اما أن تكون قديمة أو محدثة فان كانت قديمة وجب قدم الخلق لقدم العلة والخلق حادث وان كانت محدثة وجب تعلقها بعلة أخرى والكلام في تلك العلة كالكلام في هذه فيؤدى ذلك الي مالايتناهى وذلك محال وان استغنت هذه العلة مع كونها محدثة عن العلة فيجب استغناء جميع الحوادث عن العلة فبان بذلك بطلان العلة قال الله تعالى (فعال لما يريد)

(فصل) واعلموا أن البارى سبحانه قادر على أن يفنى جميع الخلق آحادهم وجملة كما خلقهم شيئا بعد شئ فيعدم الاول ويبقى الثانى ويعدم الثاني ويبقي الاول كما يريد وافناء الله تعالى انما يكون بأن لايخلق له البقاء فيفني عند ذلك بخلاف قول المعتزلة حيث قالوا ان الله تعالى لايقدر أن يفني شخصا واحدا من العالم بل انما يقدر على افناء جميع العالم دفعة واحدة وهذا فى غاية الفساد *والدليل عليه ان البارى سبحانه لولم يخلق الاشخاص واحدا القدر علي افنائه بالاتفاق فاذا خلق معه آخر محال أن يقال انه لايقدر على افنائه على الانفراد لان ذلك يقتضى ان ما كان مقدورا له خرج أن يكون مقدورا له بخلقه الآخر وذلك ظاهر البطلان قال الله تعالى (ان الله على كل شئ قدير)

(فصل) واعلموا أن الله تعالى قادر على اعادة الخلق بعد افنائه وقالت الكرامية يعيد مثله وأما عينه فلا * والدليل عليه هو ان الاعادة حدوث عن عدم بعد تقدم حدوثه والعدم بعد الوجود والعدم

قبل الوجود لا يتزايد فلو استحال أن يخلق الله تعالى بعد العدم ثانيا لاستحال أن يخلق أولا فلما بطل ذلك وصح خلقه ابتداء كذلك اعادته ثانيا لان قدرته تعالى باقية والموانع من الاعادة مرتفعة فصح أن يحدثه ثانيا كما أحدثه أولا قال الله تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده)

(فصل) واعلموا أن الظلم والجور يستحيل حصوله من البارى على أن يكون به ظالماً جائرا لا يظلم بفعل ولا يجور بقضية لان معنى الجور والظلم هو مجاوزة حد المحدود ورسم المرسوم ومحال أن يكون تحت أمر آمر ونهى ناه حتى يقال تجاوز أمره ورسمه فلهذا لا يصح منه الظلم والجور على الوجه الذى ذكرناه وقد يوصف الجماد بالظلم والجور على وجه الحقيقة يقال ظلم الماء الوادى اذا جاوز الحد والرسم وظلمت السماء اذا جادت في غير وقته وجار السهم اذا عدل عن سمت رميه وان لم يكن فاعلا الظلم والجور فثبت ان الظلم من توجه عليه برأيه بلغ الظلم وتعدى عن الرسم المرسوم وذلك فى صفته محال

(فصل) واعلموا أن البارى سبحانه له أن يؤلم الاطفال ويسخر البهائم من غير عوض يعارضهم ونفع ينفعهم لا عاجلا ولا آجلا ويحسن منه ذلك ويكون عدلا لانه مالك الاعيان مشتمل ملكه لجميع المملوكات على كل وجه يملك عليه وللمالك أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء لا اعتراض لاحد عليه في سلطانه ولا يسأل عن فعله ولا يحكم عليه فى تدبيره الامر أمره والحكم حكمه

(فصل) واعلموا أن آجال الناس وسائر الحيوانات واحد ومعناه

أن كل من كان في معلوم الله تعالى أن يموت أو يقتل في وقت معلوم لايجوز أن يتأخر عن وقته لانه محال أن يكون الامر بخلاف معلوماته قال الله تعالى (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

(فصل) واعلموا أن معنى الرزق عند بعض أصحابنا ماجعله الله قواما لابدان الناس وسائر الحيوانات مما يتغذى ويكون سببا لحياتهم * ومن أصحابنا من قال الرزق مايمكن الانتفاع به وكل ماينتفع الانسان فهو رزقه من غذاء وغيره فهذا المعنى أعم من الاول ولا يفترق الحال بين أن يكون من حلال أو حرام ولا يأكل أحد ولا ينتفع بشيء الا بما رزقه الله * وقالت المعتزلة الرزق هو الملك والحرام ليس برزق وهذا خطأ عليهم * والدليل عليه قوله تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) ولو كان كما قالوه لكان الغاصب اذا أكل مع طول عمره غصبا لم يأكل من رزق الله شيئا وذلك خروج عن الدين ولانه لو كان الرزق هو الملك لوجب أن تكون البهائم لم تأكل أرزاقها لانها غير مالكة ويجب ان الطفل لم يرزق من ثدي أمه لانه لايملك مافيها من اللبن فلما لم يكن كذلك بان فساد ماقالوه على الوجه الذى بينا معنى الرزق لايخالف في ذلك عاقل

﴿ فصل فى النبوات ﴾ واعلموا أن الله يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم لانه تعالى مالك الاعيان وخالقها ومخترعها ثم له تعالى أن يعرفهم الامر والنهى على لسان رسوله من جنسهم على صورتهم فاذا بعث الله رسولا منهم يجب أن يكون الرسول مؤيدا بالمعجزة الظاهرة

والعلامة الباهرة يدل على صدقه لانه لايتميز المرسل من المرسل اليه الا بها لتساويهما في الصورة والتركيب في الجسم

(فصل) واعلموا أن المعجزة فعل حادث ناقض للعادة ظاهر على يد من يدعي النبوة موافق لدعواه مع التحدي بمثله للخلق وظهور تعذره عليهم وانما هو كما قلنا فعل حادث لان القديم لايكون معجزة وانما قلنا ناقض للعادة لان المعتاد ليس بمعجزة نحو طلوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب لان الناس في ذلك سواء وقلنا ظاهر على يد من يدعي النبوة احترازا من الكرامات وقلنا موافق لدعواه لانه يجوز أن يظهر ويكون دلالة على كذبه مثل أن يدعي المتنبئ الكاذب أن الله يحيي بدعائي هذا الميت فيحييه الله تعالى عند تحديه فيقول هذا كاذب لا تؤمنوا به وقلنا مع التحدي لان دعوى الناس على الاتيان بمثله لايحصل الا به وقلنا ظهور تعذره عليهم لان الاعجاز به يعرف ويتم

(فصل) واعلموا أن المعجزة على نوعين أحدهما الاتيان بما ليس بمعتاد كقلب العصا حية واليد بيضاء واحياء الموتى وانفجار الماء من بين الاصابع والثاني المنع من المعتاد مع التحدي والدعاء له الى الانقياد والتعيير لهم بالمخالفة والانقطاع عن المعارضة لجواب يقول النبي معجزتي أن لاتقدروا على النطق والكلام يوما أو ساعة مع سلامة الحال فيتعذر ذلك عليهم أي الذي ادعى وما جاء بها مما يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما قلنا ذلك لان المعجزة انما تدل على صدق من يدعي النبوة لكونها خارقة كما بينا وهذا المعنى موجود ههنا كوجوده في قلب

العصا حية واحياء الموتى

(فصل) واعلموا أن المعجزة محال أن تظهر على أيدي الكذابين * والدليل هو أن المعجزة دلالة الصادق فمحال ظهورها من الفاجر الجاهل لان فى ذلك قلب الحقائق

(فصل) واعلموا ان المعجزة الواحدة كافية في حق النبوة والدليل عليه انها دلالة على صدق من يدعى النبوة فيحصل ذلك بالمعجزة الواحدة كالدليل الكاشف عن الحكم يقطع به ولا يتوقف معرفته علي دليل آخر

*(فصل)*واعلموا أن الانبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم من الله الى عبيده كانوا كثيرين وأولهم آدم أبو البشر الذى ترجع اليه انساب الناس وآخرهم محمد صلي الله عليه وسلم وقد روى فى رواية أبي ذر أن الانبياء كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا ويجب علينا أن نؤمن بجميع الانبياء والرسل جملة والفرق بين الانبياء والرسل أن الرسول يكون صاحب الشريعة والانبياء بعثوا على شرائع تلك الرسل وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا

(فصل) واعلموا أن نبينا المصطفى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول رب العالمين مبعوث الى كافة الخلق أجمعين وانه خاتم النبيين لا نبي بعده أبدا الي يوم القيامة والدليل عليه ظهور المعجزة الظاهرة على يده الدالة على صدقه وثبتت نبوة سائر الانبياء صلى الله

عليهم وسلم قبله بما ثبتت نبوته *ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة لايحصيها هذا المختصر الا أنا نذكر منها مايتعلق بالقرآن لان ذلك أظهر ولا مجال للانكار والجحود فيه مما هو أبلغ فى الاعجاز وأقطع للعذر وقد وجدنا هذا القرآن في كلام الله تعالى على هذا الوجه والنظم المباين لنظم الشعر والخطب ومباين للكلام والرجز والاسجاع وتحدى به الخلق فقال(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) الآية ثم بالغ في غايه التحدي الي أن قال(فأتوا بسورة من مثله)فلم يمكنهم الاتيان بسورة مثل ذلك مع أن هذه اللغة لسانهم والجبلة جبلتهم وكانت المعارضة أسهل عليهم من المقابلة واعطاء الاموال وبذل النفوس والمهج الى يومنا هذا لم يظهر معارضته بسورة من قصار السور من أحد مع كثرة الكفار وأعداء دين الاسلام وذلك أدل دليل على صحة معجزته وصدق نبوته

(فصل) واعلموا أن الانبياء معصومون من المعاصى بعد نبوتهم *والدليل عليه مابينا انّ اظهار المعجزة على يد الكاذبين محال والمعجزة دالة على عصمتهم من الكذب فوجب أن يكونوا معصومين عما في رتبة الكذب من الذنوب ولان اتباعهم واجب في بيانهم والاعتقاد لازم فى أقوالهم وأفعالهم وجواز وقوع المعاصى منهم يمنع الاتباع فيؤدى الى ابطال الشرائع وذلك فاسد لامحالة

(فصل) واعلموا أن نبينا صلي الله عليه وسلم كان معصوما عن النسيان للقرآن لقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) وأما السهو عليه

في صلاته وغير ذلك من أحكام الشرع فاختلف أصحابنا فيه. فنهم من قال يجوز ولكن اذا طرأ عليه لا يقر على ذلك وروى أنه صلى الله عليه وسلم سهى فسجد السهو ولان النسيان والسهو ليس من فعله فيكون معصية منه لان ذلك لايدخل تحت التكليف . ومنهم من قال السهو في الامور الدينية لايجوز عليه لانه يمنع من اتباعه في الحال وان كان لايقر عليه في المآل ونحن أمرنا باتباعه في جميع أحواله وأفعاله وأقواله ولا يجوز ذلك عليه. وأما السهو في صلاته فلم يكن ذلك منه سهوا بل انما فعل مثل فعل الساهي بيانا للشرع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حين قال ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال كل ذلك لم يكن انما أسهو لابين فهذه طريقة حسنة

(فصل) واعلموا أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء لقوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقال أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد غلط من فضل عليه ابراهيم عليه السلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يفضله على نفسه ويكون خارجا عن اجماع السلف

(فصل) في الايمان واعلموا ان الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ثم الايمان أصل وفرع وأصله ماإذا تركه العبد كفر كالمعرفة والتصديق واعتقاد مايجب اعتقاده من أحكام المكلفين كما بيناه وفرعه اذا ماتركه العبد لم يكفر ولكن يعصي في ترك البعض كالصلوات المفروضات وغيرها من الواجبات وفي البعض يكون تاركا

للافضل كالنافلة من الصلاة وغيرها من التطوعات والزيادات والنقصان انما تحصل على هذه الطريقة في فروع الايمان لا في أصله لان النقصان من الاصل كفر ولا يكون فيه زيادة لانه يجب عليه اعتقاد الجميع حتى يقع عليه اسم المؤمن والايمان شامل لجميع ذلك لقوله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم نحو بيت المقدس فسمي الصلاة ايمانا

﴿ فصل ﴾ واعلموا ان قول أهل السنة والجماعة انا مؤمنون ان شاء الله تعالى ليس فيه شك في الايمان الحاصل الحاضر لهم وانما الشك في الايمان المثاب عليه فذلك منوط بالعاقبة بالاتفاق والعاقبة مغيبة علينا فالشك واقع في المغيب لا في الحاصل الموجود فان كانت العاقبة مساعدة السابقة في حصوله فالاحوال كلها متساوية في الايمان وان كانت العاقبة في الردة ونعوذ بالله منها لم يكن ماسبق محتسبا من الايمان فلهذا المعنى قالوا انا مؤمنون ان شاء الله تعالى وامتنعوا من قول انا مؤمنون حقا لان ذلك يوهم القطع بالعاقبة والمواقعات فيؤدى الى الخطأ وأهل السنة يحترزون عن معانى الخطأ ويحترزون عن العبارات الموهمة للخطأ ومن أنصف من نفسه لا يخالف في ذلك

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن من مات على الايمان من فساق المؤمنين قبل التوبة فانه في مشيئة الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه فان عذبه لا يبقى مخلدا فى النار ولم يخرج من الايمان بارتكاب المعاصي دون الكفر * والدليل عليه قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) محال كونه مخبرا بخلاف خبره ولان التي دون

الكفر لا تضاد الايمان ولا ترفعه فصح اجتماعهما ولان الايمان لو ارتفع بالمعصية لكان يحكم بردته ويؤمر بالايمان لا بالتوبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي ذلك اجماع السلف الصالح ان المؤمن لا يصير كافرا بالمعصية بل يكون مؤمنا بايمانه فاسقا بعصيانه ولان الله تعالى بين حكم القاتل والزاني والسارق وسماهم مؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) فسمى القاتل مؤمنا ولان حكم الردة معلوم في الشريعة ولا يشبه حكم عصاة المؤمنين شيئا في الايمان من أحكام المرتدين بوجه فتأمله

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن الذنوب كلها معاص يستحق العقوبة عليها وتختلف مقاديرها باختلاف الذنوب فلا يجوز استصغار شيء منها لان استصغارها من الكبائر وانما يقال ان بعض الذنوب أصغر من بعض بالاضافة كما يقال القتل أصغر من الكفر وأكبر من شرب الخمر * والدليل عليه ان كل معصية ترك أمر الله تعالى وتركه أمر عظيم لكبر حقه وجلال قدرته ولا يجوز استصغار الذنوب عليه

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر من أمته في القيامة حق * والدليل عليه قوله تعالي (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أعني الشفاعة • وقال صلى الله عليه وسلم ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وقوله عليه الصلاة والسلام أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت

الي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة ولانه تحسن المغفرة عند التوبة فبأن تحسن المغفرة بشفاعة الرسول أولى لان فيه رفع المنزلة وترغيبا الى الطاعة له والايمان به

(فصل) واعلموا أن من مات مؤمنا ولم يكن ذنب فهو من أهل الوعد يدخل الجنة لامحالة وهكذا من مات من المؤمنين وصحت توبته ومات* والدليل عليه قوله عز وجل (والسابقون السابقون أولئك المقربون الآية وقوله (والذين اذافعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم)الآية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لاذنب له واذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

(فصل) واعلموا أن نعيم أهل الجنة لازوال له وعقاب أهل النار من الكفار لاانقطاع له والدليل عليه قوله تعالى في وصف نعيم الجنة (لامقطوعة ولاممنوعة) وقوله تعالي(أكلها دائم) وقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها) والخلود هو الدوام لانهاية له وقال عز وجل في وصف أهل النار (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها* كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) أي نرد الخلقة الى هيئتها كما كانت ليذوقوا العذاب وذلك دلالة على تأبيد العقاب يدل عليه قوله تعالى(ان الذين كفروا الى خالدين فيها) فنص على الخلود فيها وبطل قول من قال ان نعيم أهل الجنة وعقاب أهل النار يفنيان

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن الجنة والنار مخلوقان * والدليل عليه قوله تعالى (وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) فوصفها بالعرض وكونها معدة للمتقين والمعدة والعرض لايكون الا ثابتا مخلوقا وهكذا قال سبحانه (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) والمعد لايكون الا موجودا مخلوقا فبطل قول من قال انهما لم يخلقا قبل وانما يخلقان بعد

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن عذاب القبر لمن يكون من أهل العذاب *والدليل عليه قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) ومعلوم انهم لايعرضون على النار قبل الموت وهم على ظهر الارض وفي القيامة لاغدو ولاعشى ولانه تعالى بين حكم القيامة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قلت انهم يعرضون على النار فى قبورهم وقد روى ذلك في الاخبار أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ومن عذاب القبر لااله الاأنت وكان يقول في صلاته (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وعذاب القبر فان لم يقع بهذا النقل العلم فلا خبر يوجب العلم أصلا

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن سؤال منكر ونكير حق ثابت واجب اعتقاده وان الميت يحي فى قبره فيسألانه عن ربه وعن دينه ونبيه فالمؤمن يجيب على الصحة والكافر يتحير ويبقى فى الجواب متحيرا وقد روى في الخبر المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انهما ملكان يدخلان القبر فظان غليظان وبيدهما مرزبتان فيسألان صاحب القبر عن ربه

وديته ونبيه وهما فتنة القبر

﴿ فصل ﴾ واعلموا أن الميزان والصراط والحوض حق * والدليل عليه قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وقوله (فمن ثقلت موازينه) وقال صلى الله عليه وسلم ينصب الله يوم القيامة ميزانا له كفتان توزن به أعمال العباد وله لسان ينطق به وهذا خبر مشهور تلقته العلماء بالقبول وانما يوزن به صحائف أعمال العباد فمن رجح عمله بالخير نجا ومن رجح عمله بالشر هلك وأمره الى الله وأما الصراط فقنطرة ممدودة على جهنم وروى في الخبر المشهور انها أدق من الشعر وأحد من السيف فمن كان من أهل السعادة عبر عليها كعبور الريح ويعبر كل واحد من المؤمنين على حسب مراتبه والكافر لايمكن من العبور عليها وأما الحوض فقد ورد به الخبر وشاع فى الناس وقيل فى معنى قوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) انه حوض النبي صلى الله عليه وسلم وأصل الباب في أمثال ذلك ان من لا يستحيل وجوده من طريق العقل وقد وردت الاخبار به وجب قبوله والايمان به والاخبار واردة وهكذا حكم سائر ماوردت به الاخبار من أهوال يوم القيامة وصفة الجنة والنار فالايمان بجميع ذلك واجب

(فصل) واعلموا ان اجماع علماء الامة على حكم الشئ بالصحة أو الفساد فهو حق مقطوع به ولا يجوز مخالفتهم ويجب علينا اتباعهم لقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصليه جهنم وساءت مصيرا)

فتوعد على ترك اتباع سبيل المؤمنين كما توعد على مخالفة الرسول فثبت وجوب اتباعهم قال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد ذراع فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه

(فصل) واعلموا أن من أشكل عليه من أمر دينه وجب عليه السؤال من عالم أعلم منه ويلزمه العمل بما يفتيه لقوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

(فصل في الامامة) واعلموا أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه *والدليل عليه اجماع الصحابة على امامته وانقيادهم له عن آخرهم واتفاقهم على تخاطبهم اياه بالخلافة فقالوا باجمعهم ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وماحصل عليه الاجماع لايكون الا حقا قال صلى الله عليه وسلم لاتجتمع أمتي على الخطا ولانه معلوم أنهم بايعوا طاعة من غير انكار لهم لارغبة في ماله لانه لم يكن له مال ولا رهبة من سيفه لانه لم يكن قويا في نفسه ولا مجاولا لابناء جنسه ولا اتقاء عشيرته لانه لم يكن له عشيرة يتقى منهم ولا خالفوه في شئ الى أن قبضت روحه فثبت أنه كان اماما حقا

(فصل) واعلموا أن الامام الحق بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه والدليل عليه أن أبا بكر نص عليه انه خليفته بعده وعهد اليه ثم اجتمعت الصحابة عليه من غير تنازع ولا خلاف وخاطبوه بياأمير المؤمنين وانقادوا له فمضى أيام ولايته على السداد ولم يعثر منه على زلة الى أن استشهد فثبت انه كان اماما حقا

(فصل) واعلموا ان الامام الحق بعد عمر عثمان رضي الله عنه بجعل أهل الشورى اختيار الامام لعبد الرحمن بن عوف فاختار عثمان واجتماع الصحابة عليه وصوبوا رأيه فيما فعله في الخلافة وأقام الناس على حجة بالحق وبسط العدل الى أن استشهد

(فصل) واعلموا أن الامام الحق بعد عثمان على بن أبى طالب رضي الله عنه فثبتت امامته بمبايعته أكابر الصحابة ورضا الباقين وما وجد منهم المخالفة في شئ يرجع بالقدح الى امامته رضي الله عنه وكان في امامته واستقام في خلافته ولم يظلم في شئ من أفعاله ولم يعرج عن سنن الصواب فى أقواله ولا في أفعاله وذكر هؤلاء الخلفاء الراشدين والذين قضوا بالحق ومضوا على الاستقامة والسداد ومهدوا سبيل الرشاد وهم الخلفاء الراشدون ولا يحتمل هذا الكتاب أكثر من ذلك

(فصل) واعلموا أن شرائط الامامة عشر العقل والبلوغ والحرية والاسلام وكونه ذكرا والعلم بحيث يصلح أن يكون مفتيا من أهل الاجتهاد والتدبير والشجاعة والصلاح في الدين وأن يكون من قريش فاذا اجتمعت فيه هذه الشرائط صلح أن يكون اماما اذا بويع عليه

(فصل) واعلموا أن الامام في عصر واحد لايجوز أكثر من واحد وقال بعضهم يجوز تخصيص كل اقليم من بلاد الاسلام بامام واليه ذهب بعض أصحابنا والاول أصح والدليل عليه اجماع الصحابة

على هذا وذلك انهم منعوا أن يكون امامان في عصر واحد ومناظراتهم يوم السقيفة قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير ورجوعهم الى قول أبي بكر والاقتصار على امام واحد وانعقاد الاجماع على ذلك ومخالفة الاجماع لاتجوز بحال ولان ذلك يؤدى الي التهارش وتهييج الفتنة ووقوع القتال بين أهل الاسلام وذلك لايجوز قال صلى الله عليه وسلم اذا بويع الامامان فاضربوا وجه أحدهما بالسيف

(فصل) واعلموا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أتقياء أبرارا عدولا قد فضلوا بصحبة الرسول ومشاهدة الوحي والتنزيل قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولا يجوز الطعن فيهم ولا في واحد منهم ولا يقال فيهم الا الخير ونسكت عما شجر بينهم لما قال صلى الله عليه وسلم اياكم وما شجر بينهم فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ومن قال في واحد منهم سواء بجهالة أو خلاف مايجب فيكون في لعنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لانه قال من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين

تم الكتاب وربنا المحمود
وله المكارم والعلى
والجود


Bibliotheca Alexandrina
0485745